

المطوعون والكعبة السيرة

بقلم/د. حسين الشمري

مقدمة

علماء السعودية يحرمون الجهاد

أين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

منذ أيام وفي الأسبوع الأخير من شهر رمضان المعظم، فاجأنا مفتى السعودية ثم امام الحرمين، بإصدارها فتوى تحرم الجهاد على المسلمين و اعتباره من الأعمال المفسدة والمشبوهة والقدرة على حد تعبيره وهي الفتوى التي يقول فيها المفتى أيضاً: "لوحظ منذ سنوات خروج أبنائنا من البلاد السعودية إلى الخارج قاصدين الجهاد في سبيل الله، وهؤلاء الشباب لديهم حماسة لدينهم وغيره عليه، لكنهم لم يبلغوا في العلم مبلغاً يميزون به بين الحق والباطل، فكان هذا سبباً لاستدراجهم والإيقاع بهم من أطراف مشبوهة، فكانوا أداة في أيدي أجهزة خارجية تعبت بهم بإسم الجهاد، يحققون بهم أهدافهم المشينة، وينفذون بهم مآربهم، في عمليات قدرة هي أبعد ما تكون عن الدين، حتى بات شبابنا سلعة تباع وتشتري لأطراف شرقية وغربية، لأهداف وغايات لا يعلم مدى ضررها على الإسلام وأهله إلا الله عز وجل".

وأضاف أنه "ترتب على عصيان هؤلاء الشباب لولاتهم ولعلمائهم خروجهم لما يسمى بالجهاد في الخارج مفاصد عظيمة منها:-

١- عصيان ولى الأمر، والافتيات عليه، وهذا كبيرة من كبائر الذنوب....

٢- جد بعض الشباب الذين خرجوا لما يظنونهم جهاداً، خلع بيعة صحيحة منعقدة لولى

أمر هذه البلاد الطاهرة بإجماع أهل الحل والعقد، وهذا محرم ومن كبائر الذنوب.

٣- وقوعهم فريسة سهلة لكل من أراد الإفساد فى الأرض، واستغلال حماسهم حتى جعلوهم أفخاخاً متحركة يقتلون أنفسهم، لتحقيق مكاسب سياسية أو عسكرية لجهات مشبوهة.

٤- استغلالهم من قبل أطراف خارجية، لإحراج هذه البلاد الطاهرة، والحاق الضرر والعنت بها، وتسليط الأعداء عليها، وتبرير مطامعهم فيها”.

وذكر “أن أمر الجهاد موكول الى ولى الأمر، وعليه يقع واجب إعداد العدة وتجهيز الجيوش، وله الحق فى تسيير الجيوش والنداء للجهاد، وتحديد الجهة التى يقصدها والزمان الذى يصلح للقتال الى غير ذلك من أمور الجهاد كلها موكولة لولى الأمر، بل أن علماء الأمة أهل الحديث والأثر قد أدخلوا ذلك فى عقائدهم، وأكدوا عليه فى كلامهم ... وهذا الأمر مستقر عند أهل السنة والجماعة أن لا- جهاد إلا بأمر الإمام وتحت رايته ...”

واستخلص الشيخ عبد العزيز ان “الذهاب بغير إذن ولى الأمر مخالفة للأصول الشرعية، وارتكاب لكبائر الذنوب والمحرض لهؤلاء أحد رجلين:- إما جاهل بحقيقة الحال، فهذا يجب عليه تقوى الله عز وجل فى نفسه وفى بلاده وفى المسلمين، وفى هؤلاء الشباب، فلا يزج بهم فى ميادين تختلط فيها الرايات وتلتبس فيها الأمور... وإما رجل يعرف حقيقة الحال، ويقصد إلحاق الضرر بهذه البلاد وأهلها بصنيعه هذا، فهذا والعياذ بالله يخشى عليه أن يكون من المظاهرين لأعداء الدين على بلاد التوحيد وأهل التوحيد، وهذا خطر عظيم”.

* * * * (١) * * * *

* وبعيداً عن المخالفة الصريحة لهذه الفتوى مع (فريضة الجهاد) وتناقضها مع النصوص القرآنية الموجبة له اذا ما تعرض أى بلد من بلاد المسلمين للغزو أو للعدوان، دعونا نسجل هذه التساؤلات على الجانب السياسى لهذه الفتوى، لعلنا نجد ممن يرجون للثقافة والسياسة السعودية فى بلادنا إجابة، أبدأها بالسؤال عن توقيت اصدار هذه

الفتوى ودلالته ولماذا صمت (الشيوخ) طيلة هذه السنوات منذ غزوتي واشنطن ونيويورك، ثم نطقوا اليوم؟ وهل لهذا النطق (غير الإسلامى) علاقة بانكسار المشروع الأمريكى وهزيمته ولماذا فرحت أمريكا بفتوى الشيخ عبد العزيز آل الشيخ واشاد بها المالكي فى العراق وكرازى فى أفغانستان وعباس فى رام الله؟ ولماذا لم ينطق السلفيون الجدد فى بلادنا عبر صحافتهم المقروءة والالكترونية وهم كانوا أول من يكتب ويهاجم ويفلسف كل فعل أو قول تافه يصدر عن شيوخ السلفية فى الخليج وخاصة أقوالهم وفتاويهم عن كفر الشيعة وخروج (الاستشهادى) الفلسطينى من ملة الإسلام لأنه (ينتحر) ويرمى ابنفسه الى التهلكة ويعصى أوامر أولى الأمر وأية مسخرة تلك عندما يعتبر هؤلاء المشايخ أن آل سعود ينطبق عليهم لفظ أولى الأمر الذى كان على عهد النبى الأكرم صلى الله عليه وسلم حول هذه التساؤلات دعونا نسجل الهوامش التالية.

* * * * (٢) * * * *

* من المهم أن يعلم القارئ العربى أن مؤسسة الافتاء فى السعودية كانت فى نهاية السبعينيات وطيلة الثمانينات من القرن الماضى تفتى بقوة وغزارة بحتمية الجهاد ضد الروس (الكفرة) - على حد قولهم - فى أفغانستان وهناك نشأت (القاعدة) وبسبب فتاويهم ذهب ابن لادن ورفاقه ولدينا أكثر من مائة فتوى لابن باز وللشيخ عبد العزيز آل الشيخ نفسه وباقى شيوخ المملكة تفرض على المسلمين هذا الجهاد، ترى ما الذى جرى حتى يفتى المفتى السعودى اليوم بعكس مادعى اليه بالامس؟ الا يسبب هذا لبساً لدى الشباب المسلم ولدى رأى العام العالمى الذى ينظر بانتباه لكل ما يصدر عن البلاد التى بها مكة والحرميين الشريفين!! إن الذى جرى وبلا موارية مع أمريكا رأى فى الماضى مصلحة سياسية مباشرة فى ضرب الاتحاد السوفيتى وتحطيمه من خاصرته الرخوة فى أفغانستان، فاستخدمت الفتوى والشباب والدين كله فى توظيف غير أخلاقى لخدمة المشروع الأمريكى، وعندما انتهت المهمة وبقي الشباب المسلم بقيادة ابن لادن على ثوابت تعلمها من شيوخه، تقوم على أن الغزاة الأجانب لبلاد المسلمين أياً كان

اسمهم (روس أو أمريكيان) لابد من قتالهم وأن جهادهم فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وتحولوا بالفعل لمقاتلة المشروع الأمريكي في التسعينات واستطاعوا أن يؤذوه بل ويهزمونه في بعض المناطق التي غزاها، ودمر فيها الأرض والبشر، ساعتها عادت أمريكا الى حلفائها والى شيوخها ودور فتواها في المنطقة وبخاصة في البلاد التي ينظر اليها المسلمون بقداسة: بلاد الحرمين الشريفين، فتحركت الآلة السياسية الحاكمة في المملكة ومعها آلة الافتاء لتمارس ذات الدور القديم، دور التخديم على الاستراتيجية الأمريكية الاجرامية في بلادنا، فكانت الفتوى الأخيرة والتي سبقتها وستلحقها فتاوى أخرى تؤكدها، هذا هو تحديداً ما جرى، وهو في تقديرنا رغم سوءه إلا أنه مفيد وصحي، لماذا؟ لأنه يكشف أمامنا ودونما موارية أن بعض العلماء ودور الإفتاء لا علاقة لها بصحيح الدين، ولا الإسلام الذي تحمل اسمه، وهي ليست أكثر من أداة دينية (أحياناً تكون رخيصة الثمن جداً) تستخدم لمصلحة اللاعبين الكبار من الغزاة والطمغاة الذين يدعون زوراً أنهم ولاة أمر المسلمين للأسف الشديد!

* * * * (٣) * * * *

* ولكن هل ما يقوم به اليوم أسامة ابن لادن ورفاقه من أبناء الجزيرة العربية وبعض البلاد العربية، يعد خطأ أو جريمة تستحق من مفتي المملكة وخطيب الحرم المكي الشريف كل هذا الغضب وهذا التكفير والتفسيق؟ دعونا نقول منذ البداية أنني كنت ولا أزال من المختلفين سياسياً مع المشروع السياسي الإسلامي الذي تقدمه (القاعدة)، لأسباب عديدة لعل أهمها أن فقه الأولويات لديها لم يكن صحيحاً، حيث غابت (فلسطين) التي نعتبرها القضية المركزية للأمة الإسلامية عنه أو غيبت لأكثر من ربع قرن وعندما حضرت، جاء حضورها في الزمان والمكان غير الصحيحين وبالأدوات غير الصحيحة (تفجير برجى التجارة العالميين) أو القتال في بلاد وتحت عناوين وقضايا أراها آل سعود والأمريكان ولم تردها الأمة فضلاً عن قضايا أخرى.. نختلف مع (القاعدة) ومع ابن لادن، وسجلنا اختلافنا في أكثر من عمل صحفي وأكاديمي وسياسي في موضوعية واحترام،

ولكن.. هل معنى هذا أن نغمط الرجل وتنظيمه حقه خاصة فى تحولاتهم وتطوراتهم الجديدة؟ إن الحقائق على الأرض، والتحليل الهادئ لمجريات الصراع بين (القاعدة) وأخواتها من التنظيمات الجهادية فى بلادنا العربية وبخاصة تلك التى تحمل فكر السلفية الجهادية فى طبعته الصحيحة الموجهة بالأساس وبالتحديد ناحية أمريكا وإسرائيل، تدفعنا إلى القول بأن ابن لادن والظواهري ومعهما فى ذات المرتبة كل مناضل سياسى من اليسار (أنظر لأمريكا اللاتينية وما يحدث فيها) أو من القوميين أو الإسلاميين من المذاهب الأخرى (الشيعية تحديداً وهنا أسجل المنزلة الرفيعة التى يحتلها المجاهد للسيد حسن نصر الله فى قلوب كافة العرب والمسلمين) هؤلاء يمثلون خندقاً مقاوماً للمشروع الأمريكى وعندما تضع أمريكا ابن لادن وخالد مشعل ورمضان شلح وحسن نصر الله فى خندق واحد وتسميهم بالإرهاب، فأنا (مع الاعتذار لنزار قباني فى قصيدته الشهيرة): أنا مع الإرهاب، لأن هؤلاء يقاومون ويرهبون فقط أعداء الأمة وأعداء الدين وشيوخ النفط وعلماء السلطة وصحفيها.

* لقد توقفت فى السنوات الماضية أمام خطاب (القاعدة) باجمال وخطابات ابن لادن والظواهري بخاصة، ولاحظت ملاحظة هامة لعلها تنير الطريق المظلم الذى تتصارع فيه المذاهب ويلعب فيه شيوخ وصبيان التطرف بغباء وأحياناً بوعى وبتخطيط مسبق مع الحكام وأجهزة المخابرات حيث وجدت أن ابن لادن والظواهري لم يتعرضا بقضية الصراع المذهبى بين السنة والشيعية، ولم يهاجما كما فعل بعض شيوخ المملكة، (حزب الله) أو المجاهدين الشيعة ضد المشروع الأمريكى فى العراق (مثل الشيخ الخالص والبغدادى وغيرهما) لقد امتنع ابن لادن عن ذلك طيلة السنوات الماضية فى الوقت الذى (إندفع فيه شيوخ وصحفيو الغلو والتابعين لوزراء الداخلية السعودية (بالأمر المباشر!) إلى إنكاء نيران الفتنة المذهبية حتى يلهوا الناس عن العدو الحقيقى، لقد لاحظنا أن ابن لادن والظواهري لم يتعرضا باجمال لهذه القضية، وان تعرضا مؤخراً فى بعض الخطابات كان تعرضهما سريعاً وخفيفاً ودونما تكفير.. ترى ما السبب؟ وما هو تفسير

ذلك؟ ان الأمر عندى هو ادراك ابن لادن لجوهر القضية وهى أن الصراع لأن هو صراع بين معسكرين أو فسطاطين وفق عبارة ابن لادن الشهيرة — فسطاط أمريكا وحلفائها وشيوخها واعلاميينها، وفسطاط المقاومة العربية والاسلامية بكافة ألوانها ومذاهبها، لذلك وجد ابن لادن والظواهرى أن لعبة التمذهب لعبة فطرة، وإجرامية تنفذها أمريكا والحكام الطغاة فى بلادنا لا لهائنا عن جوهر الصراع.

خلاصة القول، ولو صدق تحليلنا السابق بشأن تحولات خطاب القادة الكبار للقاعدة وتركيزه على أمريكا واسرائيل، فاننا ساعتها سنؤكد مجدداً على حق ابن لادن وكافة أبناء الجزيرة العربية وبلادنا الاسلامية فى الجهاد (خارج المملكة) بل وداخلها ضد العدو الأمريكى الاسرائيلى، وأن المفتى وخطيب الحرمين قد أخطأ حين حرما هذا الجهاد، وخطؤهما مزدوج: فقيهماً وسياسياً فى الوقت الذى أصاب فيه ابن لادن، وكل شريف فى هذه الأمة، حين رأى الحق فاتبعه، ووجد الغزاة فجاهدهم، وهو — شرعاً — على الطريق المستقيم الصحيح لأنه من المؤمنين بقوله تعالى (يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال) ومن الذين قال فيهم (المولى) سبحانه وتعالى (الذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون) ولأنه أيضاً ممن قال فيهم (وان يعدكم الله إحدى الطائفتين أنهالكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين. ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) "الأنفال ٧-٨" وقوله (يأيها الذين أمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولهم الأدبار) الأنفال "١٥"

على اية حال سوف يتجه البحث فى هذا الكتاب إلى كشف الدور التاريخى لجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى مملكة آل سعود والمسماة (بالمطوعين) وهو دور خطير يضر بالإسلام كما تؤكد كل الشواهد والحقائق ومن ثم هو يحتاج إلى كشف وتعريية له.

وهذا ما سنحاوله عبر المحاور التالية:

المحور الأول

المطوعون رمزاً لصناعة الشر وتطبيقه

يحدثنا التاريخ أن الشر صناعة يدوية، بإرادة إبليسية حتى ولو كتبت عليها آية التطهير والطهارة. ومن المفارقات أن الكل قادر على الإبداع فيها، عدا المتقون {وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ}.

حقاً؟ لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ؟ كما قال الرب عز وجل، وقرره النبي الأكرم حينما قال «لتسلكن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة».

فما أشبه اليوم بأيام محاكم التفتيش، وحملات التتر الغاشمة على جسم هذه الأمة، وهستيرية الحجاج الثقفي في إرهاب النفوس، وولوغه في الدماء البريئة، بتهمة اختلاف الآخر معه، أو بظنة التخطيط لقلب الحكم عليه من قبل بعض العلويين. ومما يزيل القلب عن مستقره جريان كل تلك الجرائم باسم الدين واحترام السلف. فالقوم أبناء القوم.

وهم يشبهون -بحق- رجال الكنائس في العصور المظلمة كما يسمونها فالمواقف تتشابه وتكرر فكان القساوسة يرهبون الناس ويتجسسون عليهم ويحاكمون أفكار الآخر ويكبتون الآراء التي تخالفهم وهو ما يحصل أمام مرأى أعيننا..

فكان بعض القساوسة يقول: «ملعون من يقتنع أو يقبل تفسيراً علمياً لحوادث الطبيعة، خارجاً عن طاعة الرب، ومن يشرح أسباباً طبيعية لبزوغ كوكب أو فيضان فهو كافر، بل لمن يفسر علمياً شفاء قدم مكسورة أو إجهاض امرأة فتلك كلها عقوبات من الله أو من الشيطان أو هي معجزات أكبر من أن ندرك كنهها».

ينقل أن رئيس بلدية في ألمانيا صنع فانوساً يعمل على الغاز فحكمت عليه الكنيسة بكفره، وذلك لأن الله جعل الليل ظلاماً دامساً والنهار مضاء، واختراع مصباح ينير الليل مخالف لمشئنة وإرادة الله عز وجل.

كانت تجربة الكنيسة التي عانى منها الإنسان الأوروبي تجربة مريرة على مدى أكثر من ألف عام، تحت حكم وتسلط رجال الدين المسيحيين، آباء الكنيسة، وقد أدت تلك التجربة إلى أقصى أشكال الظلم والاستعباد والفساد وتسخير الناس وإذلالهم، وارتكاب أبشع أنواع الجرائم الأخلاقية باسم الدين، وحرق وإعدام المفكرين والعلماء ومصادرة حرية الفكر، ونشوء النظريات الخاطئة التي بررت التسلط والاستعباد باسم الدين، ومن النظريات التفويض الإلهي المباشر وغير المباشر وصكوك الغفران وغيرها..

وحاربت الكنيسة كل النظريات التي يكتشفها المفكرون تحت حجة مخالفتها لتعاليم الكتاب المقدس، وقالت: «إن الاقتراح القائل: «إن الشمس هي المركز وأنها لا تدور حول الأرض حماقة وسخف وزيف في علم اللاهوت، وهرطقة لأنه يناقض على طول الخط ما جاء في الكتاب المقدس.. وأما القول: «إن الأرض تدور حول الشمس وليست في المركز فسخيف، وزائف فلسفياً، ومن اللاهوتية، يعارض العقيدة الحقيقية..»، لقد أديننت جميع الكتب التي أيدت حركة الأرض، بينما وضع كتاب كوبر نيكوس في قائمة الكتب المحرمة في عام ١٦١٦م» [١] .

وحينما قال «غاليلو» (*): «إن الشمس هي مركز منظومتنا، كفروه، واتهموه، وقدموه إلى المحاكم الظالمة، وطلبوا منه الرجوع عن نظريته إلى ما كانوا يقولونه ويعتقدون به، وهو أن هذه المنظومة إنما هي أرضية لا شمسية وأن الأرض مركزها، فالشمس والكواكب السيارة إنما تدور حول الأرض، وخير غاليلو بين الموت بالحرق، أو عدوله عن نظريته، التي استنتجها بحساباته الرياضية فما كان منه إلا أن عدل عن نظرياته خوفاً من الإحراق، بعد أن قيّد مربوطاً بعمود وجثا على الأرض راکعاً، ونص ما قاله «غاليلو»: «أنا غاليلو في السبعين عاماً من حياتي أركع على ركبتي أمام حضرتكم «البابا والقس» وأتوب والكتاب المقدس أمام عيني وألمسه بيدي، وأنكر دعوى حركة الأرض وأطردّها عني واتنفرّ منها».

«ومنع الفيلسوف المعروف «بيجن» عن البحث في علم الكيمياء بأمر «إدوارد الأول» ملك إنجلترا، ومنع عن المحاضرة في هذا الموضوع بجامعة «اكسفورد» ثم أبعاد إلى باريس ليكون تحت نظر الكنيسة، وكانوا يرون ولعه بذلك بلاهة وسفاهة، ولذلك فهم كانوا يصرخون بوجهه ويقولون: اقطعوا يد هذا الساحر، وأسقطوا هذا المسلم عن العمل». وحكم على يورز بالموت حرقاً لتأييده لآراء أستان كوبر نيكوس كما، أن الكنيسة أوشكت على إعدام الطبيب بطرس الباتو إلا أنه مات قبل إعدامه، وأحرقت العالم الفلكي المشهور تشكوداسكولوجيا، وغيرهم من العلماء والمفكرين. ووصل عدد من عاقبتهم محاكم التفتيش -التي تأسست عام ١١٨٠م -٣٣٢ ألف شخص، منهم ٣٢ ألفاً تم حرقهم...

وعلق الراهب «درابر» على تلك الحقبة المظلمة التي حكمت فيها الكنيسة بقوله: «إن الكنيسة كفرت كل من يخالف أمرها في كل العلوم، أقرت بعقوبة على ما يربو ثلاثمائة ألف، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفاً بينهم عالم الطبيعة «برونون» أما البابوات فينقل عنهم قول الراهب «جروم»: «إن عيش القساوسة ونعيمهم كان يزري بترف الأمراء والأغنياء المحترفين، ولقد انحطت أخلاق البابوات لنفقاتهم وإرضاء شهواتهم».

يشرح المؤرخ «ويل دورانت» خصائص محاكم التفتيش فيقول: «كان لمحكمة تفتيش العقائد نظام خاص للمحاكمة: «فقبل أن يتشكل ديوان المحاكمات في أية مدينة كانوا يبلّغون الناس «مرسوم الإيمان» من على منابر الكنائس، فكانوا يريدون محكمة التفتيش، فكانوا في الواقع يرغبونهم في النميمة واتهام الجيران والأصدقاء والأقرباء، وكانوا يعدون السعاة والوشاة بالسرية التامة والحماية منهم، أما من كان يعرف ملحداً ولا يُفشي سرّه أو كان يأويه ويتستر عليه كان يُبتلى بالتكفير واللعن».

وقد كان الأموات أحياناً يتّهمون بالكفر والإلحاد فكانوا يحاكمونهم بتشريفات خاصة، فيصادرهم أموالهم ويحرمونها عن ورثتهم، والذين يخبرون عن إلحاد الأموات كانوا يغطونهم من ثلاثين إلى خمسين بالمائة من أموال الأموات!.

وكانت طرائق التعذيب تختلف من مكان إلى مكان، وزمان إلى زمان، فكانوا أحياناً يشدّون أيدي المتهم بالحبال إلى خلف ظهره ثم يشنقونه بها، وأحياناً يشدّونه بحيث لا يقدر على الحركة ثم يقطّرون في فمه ماءً حتى يختنق، وأحياناً يشدّون عضديه وساقيه بحبال ثم يحكّمونها أو يشدونها بحيث تنبت في لحمه وتدخل فتصل إلى عظامه».

قال الراهب الإسكندري بعد زمن متلهفاً: «وأسفاه.. لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات وكان الرهبان يتجولون في البلاد ويختطفون الأطفال ويهربونهم إلى الصحراء والأديار، وينتزعون الصبيان من جحور أمهاتهم ويربونهم تربية رهبانية، والحكومة لا تملك من الأمر شيئاً، والجمهور والدهماء يؤيدونهم ويحبذون الذين يهجرون آبائهم وأمهاتهم ويختارون الرهبانية، ويهتفون باسمهم، وعرف كبار الرهبان ومشاهير التاريخ النصراني بالمهارة في التهريب، حتى روي أن الأمهات يسترن أولادهن في البيوت إذا رأين الراهب أمبروز (Ambrose)، وأصبح الآباء والأولياء لا يملكون من أولادهم شيئاً، وانتقل نفوذهم وولايتهم إلى الرهبان والقسوس» [٢].

أية سلطة هذه التي تأمر بالمنكر وتفعله، وتنهى عن المعروف وتقتله؟ أكان لهم من الله واق؟ أم على الله والناس يفترون؟

هل نسيّت هذه الشرذمة -الهيئة- أنها وليدة عقول دأبت على الشر والعنف، وأنها من هندست الإرهاب حتى صدّرته إلى أفغانستان، والعراق، ومصر؟

إنها ترى نفسها مطلقة القوة والقدرة، وأن لها أن تتخذ دين الله لعباً، وعباده خولاً. لقد صدق رسول الله وهو يتحدث عن آخر الزمان فيقول «.. وصار المنكر معروفاً والمعروف منكراً».

الغريب أن هذه الشرذمة تأمر بالصلاة بالعنف والهمجية، ثم لا يصلّون إلا بعد أن ينتهي المسلمون من الصلاة «.. وينسون أنفسهم» في التسكع ومطاردة النساء حتى في

المسجد الحرام! ومن ثم تراهم يأخذون الناس بالريبة والشك والظن؛ فكم من زوجين أوقفوا في الشوارع والحدائق للتحقيق معهم، فيسألون الشريف: من تكون التي معك؟. فمن أنت..؟ وأين كنت سابقاً..؟.

سلب حرية المعتقد:

أنا لست مجبراً كمسلم أن أجمع بين الصلاتين وأغلق وقت صلاة العشاء لأنني صليتها مع المغرب، وقد اختلف معك في مذهبي فأنت سني وأنا شيعي جعفري اثنا عشري «رافضي».

يروى أن المفضل - وكان من خلص أصحاب الإمام الصادق - كان ذات يوم يصلي في مسجد النبي ، وفي هذه الأثناء دخل اثنان من الملاحدة إلى المسجد، فجعلوا يتحدثون بصوت يسمعه المفضل، من جملة ما تناولوه في حديثهم، موضوع النبوة، ونبي الإسلام ، مدعين أن النبي الأكرم كان رجلاً نابغةً، استهدف في دعوته إيجاد تحول في مجتمعه، ورغم أنه لم يكن مقتنعاً بدينه، إلا أنه رأى أن الدين هو أفضل طريق لتحقيق مثل هذا التحول. ولما سمع المفضل هذا الكلام غضب أشدّ الغضب، وراح يعتفّ زينك الملحدين بالكلام، فقال له: أنت أي شخص تتبع؟ إذا كنت تتبع جعفر الصادق، فعليك أن تعلم أننا نتحدث عنده بمثل هذا الكلام، بل نتقصى في الاستدلال ضد وجود الله، ثم تراه ليس فقط لا يغضب، بل يبالي في الاستماع إلينا، حتى نظن أنه قبل كلامنا، لكنه لم يلبث أن يردّ حججنا ويبطل كلماتنا بمنتهى الدقة والإحكام.

نرى أن رسالة كل الأنبياء هي دعوة حق، وإيقاظ النفوس، وهداية الناس للصالح والفلاح، عن الطريق التفكير والتدبر والاستدلال نحو عالم الخلق بقناعة وحرية تامة من دون فرض ولا جبر وهذه هي طريقة الله سبحانه وتعالى.

ومن حقوق أي إنسان كان أن يظهر عقيدته بحرية تامة. وإن كانت عقيدته خطأ، ينبغي الردّ عليها بفكر صائب وعقيدة صحيحة بطريقة صحيحة، من دون اللجوء إلى العقاب

والتضييق على أصحاب تلك العقيدة أو الفكرة، فالفكرة تواجه بفكرة وليس بعقاب عنف
لفرض رأي أو عقيدة معينة.

إشاعة جو الأمان وليس التهديد:

روي عن الإمام علي : «من أقرّ عند تجريدٍ أو تخويفٍ أو حبسٍ أو تهديدٍ فلا حدّ
عليه» [٣]. ويقول سبحانه وتعالى: ؟ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
؟[٤].

الحوار وليس التهديد والوعيد:

إن الأنبياء بدأت دعواتهم إلى «لا إله إلا الله» بالحوار والنقاش وليس الصراخ والاعتقال
وخطف الآخرين كما هو الحال الآن في قضية خطف فتاة سيهات أمينة المسكين من
حرم الجامعة.

ونشرت جريدة «الوطن» في أحد أعدادها «سفر العزمان، منصور الخميس» بالدمام أن
هيئة الأمر أجبرت فتاة للركوب معهم مما سبب إلى حالة احتقان لدى الشباب الذين
تجمهروا لإعاقة عمل أعضاء الهيئة أثناء محاولتهم إدخال الفتاة للسيارة في مركز
تجاري في الدمام وتم الاشتباك مع الجمهور. والفتاة أخذت من محلات بيع الجوال.

وقال تعالى: ؟ إِنْ مَّا أَنْتَ مُذَكَّرٌ • لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ؟ [٥].

وقال تعالى: ؟ وما أرسلناك إلا رحمة للعاملين؟ [٦].

وقال تعالى: ؟ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي؟ [٧].

يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان: «لا إكراه في الدين نفي الدين الإجماري لما أن
الدين هو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها أخرى عملية يجمعها أنها اعتقادات،
ولا اعتقاد والإيمان من الأمور القبلية التي لا يحكم فيها الإكراه والإجبار، فإن الإكراه
إنما يؤثر في الأعمال الظاهرية والأفعال والحركات البدنية المادية..» ثم يقول «وهذه
إحدى الآيات الدالة على أن الإسلام لم يبتن على السيف والدم..وعلى خلاف ما زعم عدّة

من الباحثين.. واستدلوا بالجهاد الذي هو أحد أركان هذا الدين» ويضيف «إن القتال الذي ندب إليه الإسلام ليس لغاية إحراز التقدم وبسط الدين بالقوة والإكراه» [٨] .

الهيئة والتجسس على العباد:

حدث مع الخليفة عمر أن تسلق دار رجل فوجده على معصية، فأنكر عليه، فقال يا أمير المؤمنين: «إن كنت أنا قد عصيت الله من وجهٍ واحدٍ فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه، فقال وما هي؟! فقال: قد قال الله تعالى:؟ ولا تجسسوا؟ [٩] ، وقد تجسست، وقال تعالى:؟ وأتوا البيوت من أبوابها؟ [١٠] «وقد تسوّرت من السطح، وقال:؟ يا أيُّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على أهلها؟ [١١] ، وما سلّمت، فتركه عمر، وشرط عليه التوبة» [١٢] .

*يتعاملون مع الناس على أصل إن المجتمع فاسد، ولذا نرى الناس يبغضون عمل الهيئة لتصرفاتها السيئة لملاحقتهم الشباب والفتيات والتشهير والتشويه والإيذاء النفسي وقد يصل للجسدي، ولكن الهيئة ليس لديها قدرات في التعامل الحضاري مع الناس لأنها أشاعة جو الرعب واستلاب حريات الناس وكرامتهم، والقيام بعمليات التجسس عليهم فوصل بهم إلى الهجوم على ديار البعض للصلاة والتفتيش والتجسس متناسين حرمة البيوت والرسول نهى عن تتبع عورات الناس، فقال لمعاوية: «إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم» [١٣] .

وقال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته» [١٤] .

ومن جانب الحريات واجه الكاتب السعودي عبدالله بن بخيت «المولود عام ١٩٥٤م» يوم الاثنين تاريخ ٢٠٠٥/٣/١٥م دعوى قضائية أقامها ضده عدد من الأشخاص في المحكمة الجزئية بالرياض بتهمة استغلاله مقالاته في صحيفة الجزيرة للإساءة إلى الأخلاق الإسلامية والعييب في الأحكام الشرعية، وتشويه سمعة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، إضافة إلى اتهامه «بتيسير الوصول إلى القنوات الفضائية» وبالإساءة إلى بلاده أشد الإساءة.

وقال الكاتب في تصريحات خاصة لـ«العربية.نت» أن القضية هي جزء من حملة مشينة ضده لا تستهدف فقط محاكمة مقالاته التي يكتبها في جريدة «الجزيرة» تحت زاوية «يارا» وإنما تهدف إلى منعه من الكتابة مرة أخرى حسبما جاء في صحيفة الادعاء، وقال إن الهجوم عليه ممتد منذ ثلاثة أعوام، وقد بدأ في أول الأمر عبر اتصالات تليفونية على تليفونه المحمول ورسائل في بريده الإلكتروني تهدده وتسببه أحياناً وتعظه أحياناً أخرى.

وكانت أبرز مقالاته هي عن «الإرهاب والمرأة والموقف من القنوات الفضائية». ما نطالب به هو إلغاء هذه الهيئة التي تضر ولا تنفع - إن تعاملت بهذا الأسلوب الهمجي-، أو في خطوة متقدمة العمل على تقليص صلاحياتها. أيها الناس أنتم مطالبون بإنشاء عريضة شعبية للملك عبدالله للنظر في هذه التجاوزات، فإن له سمعاً حاضراً لكل ما يهم ويقلق الناس. ليكن العرض والشرف والحريات هي مبرر وجودنا، فإن هي ذهبت.. فما هو مبرر وجودنا؟.

[١] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين- السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي- دار المعارف- الطبعة السابعة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(*) غاليلو (١٥٦٤م-١٦٤٢م) عالم إيطالي أشتهر في علوم الطبيعة والفلك، وكما أشتهر بنقد أفكار أرسطو التي كانت سائدة في ذلك الوقت ومقدسة ولا يستطيع أحد نقدها، وأخذ من النظرة العلمية طريقاً للتفكير، وأكتشف قانون القصور الذاتي ومبدأ النسبية في الحركة ومهد الطريق للعلم التجريبي، وهو يؤمن بأن العالم لا نهائي وبأن المادة أبدية.

- [٢] المصدر السابق.
- [٣] الوسائل : الباب السابع من أبواب السرقة.
- [٤] سورة النحل: ١٦ ، ١٢٥.
- [٥] سورة الغاشية٢١-٢٢.
- [٦] سورة الأنبياء ١٠٧.
- [٧] سورة البقرة ٢٥٦.
- [٨] الطباطبائي، العلامة سيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣٤٢-٣٤٣.
- [٩] سورة الحجرات: ١٣
- [١٠] سورة البقرة: ١٨٩
- [١١] سورة النور: ٢٧
- [١٢] إحياء علوم الدين: ١٢٢٤/٢.
- [١٣] تفسير ابن كثير: ٢١٤/٤.
- [١٤] سنن الترمذي، ٣٧٨/٤.
- شبكة راصد الإخبارية ٢٠٠٦/٥/٢

رؤية د.مضاوي الرشيد

لا يوجد جهاز او مؤسسة تمثل النفاق السياسي السعودي مثل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يناط بهذه الهيئة مهمة اسلمة المكان ولكنها بالواقع لم تؤسلم سوي الاستبداد. ان هي تعطي غطاء دينيا لتجاوزات وممارسات ابعدها ما تكون عن الدين. مشروع اسلمة المكان ابتداء مع نشوء الدولة السعودية الحالية والتي استطاعت ان تستغل الدين إلي أقصى الحدود من اجل تثبيت سلطة سياسية معينة.

ولكن تطغي فكرة الدولة الدينية وتظهر للعيان أسس النظام السعودي. هذه الهيئة والتي قلصت الدين واختزلته وأصبح وجود رجالها وهولتهم في شوارع المدن وركضهم وراء كل كائن بشري متحرك بحثا عن رذيلة ما وانحراف خطير المعيار الوحيد الذي تقاس به تقوي النظام وروعه بعد ان سقطت أقنعة كثيرة كانت تغطي ملامح الدولة الجديدة وتحجبها عن النظر.

لقد نجح النظام السعودي من خلال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عدة أمور تصب في مصلحة السياسة وليس الدين والتقوى.

أولاً: اعتبار اسلمة المكان الرمز الوحيد المعبر عن الدولة الدينية وتناسي محاور رئيسية قد تكون المدلول الأكثر غيبية في نظام كالنظام السعودي. خلو الحيز العام من المنكرات المرئية والمسموعة والمحسوسة قد يعطي صورة سطحية وانطبعا خاطئا عن المنظر العام وما خفي وراء الكواليس. ولكن يظل وجود الهيئة علي الساحة العامة دليلا قاطعا لكل مشكك في إسلامية الدولة ومدى التزامها. لن يستطيع النظام السعودي ان يلغي الهيئة مهما علت الأصوات في الداخل أو الخارج الداعية لضبط الهيئة أو إعادة صياغتها. وقد ظهرت هذه الأصوات علي صفحات الجرائد وشاشات التلفاز بعد ان وصلت تجاوزات الهيئة إلي مرحلة حرجة أدت إلي وفاة أكثر من مواطن خلال عمليات الدهم والاحتجاز.

ووقفت السلطة بشكل واضح وصريح بجانب هيئتها وها هي تحاول تبرئة أعضائها من التجاوزات وانتهاكات لم يعد المجتمع يطيقها. وبعد تداول الصحافة أخبار هذه التجاوزات المريبة ببضعة أيام خرجت لنا لائحة طويلة بانجازات الهيئة منها مثلا اكتشاف مصانع للخمر والقبض علي سحرة ومشعوذين هنا وهناك. وهنا تظهر المعادلة بشكل واضح وصريح، لا بد لأسلمة المكان من حصول بعض الأخطاء أو التجاوزات والتي سيستطيع القضاء ان يعالجها بالوسائل المشروعة والممكنة. ويتساءل البعض عن أهمية حدث ك وفاة مروج خمور يفقد حياته لحظة مدهامة الهيئة لبيته وهو المجرم بحق المجتمع. وإذا قسنا هذا الحدث بانجازات الهيئة علي أصعدة أخري أليس من المفترض التغاضي عن زلاتها والتركيز علي انجازاتها في حربها علي الرذيلة ومناصرتها للفضيلة والسلوك الحسن.

وإذا اطلعنا علي موقع الهيئة علي الشبكة العنكبوتية فسنجد ان لها باعا طويلا في تفصيل المحظورات والتي قد تسعى لاجتثاثها في المستقبل كحرصها علي تطهير المكان من النامصة والمتنمصة والواصلة والواشمة والمنفلجة هذا بالإضافة إلي حرصها علي قصات الشعر والهدنام المتعلق بالرجال وبحثها المستميت عن خلوات غير شرعية مما قد يؤدي إلي اتهام النساء وتشويه سمعتهن تماما كما حصل لامرأة هي في طور رفع دعوي علي الهيئة لما تسببته من إحراج وتشويه سمعة في بلد يعتمد علي المرويات الشفهية أكثر من اعتماده علي الأدلة القطعية.

ثانيا: نجح النظام السعودي من خلال الهيئة في اختلاس الإسلام وتحديد معايير من خلال تفعيله في مجالات عامة تشوه صورة الإسلام ولا تظهر الجوانب الايجابية والجوهرية في رسالته. بل لقد طمس الرسالة الجوهرية ونفاها من ممارساته العامة واحتفظ فقط بحفنة من المطاوعة والذين يعتبرون حالة خاصة من الفولكلور المحلي الذي انتزع من منطقتة الام والحاضنة الجغرافية الطبيعية له وعممه علي جميع المناطق بعد ان أصبح للهيئة فروع في جميع أنحاء البلاد ومدنها الحيوية. وبحضن النظام ورعايته

تطور هذا الفولكلور حتى أصبح مؤسسة رسمية وبحكم كونها رسمية لم تستطع هذه المؤسسة ان تستعرض عضلاتها إلا علي العامة وبقي الخاصة وفيهم من النامصة والمتنمصة ربما أكثر من الأكثرية الساحقة في المجتمع خارج نطاق الهيئة. مع الهيئة تمت اكبر علمية اختلاس للإسلام هذا الاختلاس جعله دينا للعوام من البشر بينما تبقي الخاصة المختصة بإدارة الشأن العام وعلي اعلي المستويات خارج دائرة الهيئة وقدرتها علي ضبط الرذيلة.

ثالثا: استطاعت الهيئة خلال أكثر من ستة عقود ان تنمي جيلا كاملا يربط الإسلام بالقهر وحدود الجغرافيا حيث تتواجد الهيئة ورجالها. وما ان يخرج احدهم خارج هذه الحدود حتى تنفلت الأمور وتعلق جميع الضوابط وعمليات الردع النفسية ليتحرر الفرد من قمع الداخل نراه يطلق العنان لشهوات وتجاوزات بشعة يسقطها علي مجتمعات أخرى يستفيد من حرياتهما بل يتجاوز هذه الحريات وبين الحين والحين يجد نفسه مساقا إلي سجون أو مراكز شرطة سياحية إذ انه اعتقد ان غياب الهيئة والرقيب هو مفتاح للعبث والتطاول وتجاوز كل الحدود الإنسانية والدينية والأخلاقية، لقد ساهمت الهيئة وممولها خلال عقود طويلة بتربية شباب فاقد للوازع الداخلي والذي يحتاج إلي رقيب خارجي أو شرطي أو مطوع يدعوه إلي الفضيلة وينهاه عن الرذيلة لقد تعطل هذا الوازع الداخلي وأصابه الشلل نتيجة وجود رقيب خارجي مناط به عملية التأديب والعقاب. وما ان يخرج هذا الشاب من المحور الضيق الجغرافي تراه يهيم في الجغرافيا العالمية حتى تحول إلي عبء علي المجتمعات التي تحتضنه ولو لفترة قصيرة كزيارة سياحية أو سفر طلبا للعلم أو التجارة.

رابعا: نجح النظام السعودي في جعل الهيئة أداة إرهاب مهمتها محدودة ولكنها جوهرية ان إنها تعمل علي المستوي الشعبي فهي تتخذ من الازقة والشوارع والمحلات التجارية مركزا لها وبذلك هي خط التماس الأول بين السلطة والمواطن. وما ان يخرج هذا المواطن من منزله حتى يجد السلطة بانتظاره ممثلة بالشخصية المعروفة للجميع وقد لا

يسلم من تجاوزاتها حتى ان هو لم يخرج من منزله فلها القدرة علي اختراق حرمت المنازل وان قارنا هذا الإرهاب الصريح بموقف ديني آخر يحرم علي المسلمين نصيحة الحكام ان خالفوا الشرع وظهر منهم بعض التصرفات والمعاصي إلا بطريقة سرية وهمسات ناعمة رغم ان بعض هذه المعاصي قد تكون علنية وواضحة وضوح الشمس نجد مفارقة كبيرة وازدواجية في المعايير من الصعب قبولها. وان كانت مهمة الهيئة الحفاظ علي الفضيلة فما دورها في محاربة من جعل من الرذيلة فضائية عربية تهدد جيلا كاملا ليس فقط بالسعودية بل في العالم العربي بأسره وتجره إلي الهاوية. وما دور الهيئة أمام قنوات السحر والشعوذة التي استطاعت ان تجعل هذه الممارسات معمرة ومنتشرة اضا خارج حدود الجغرافيا المحلية.

باختصار هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكلها الحالي هي أداة بيد السلطة تخدم مصالح سياسية ابعدها ما تكون عن جوهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هي بالواقع جزء لا يتجزأ من تهافت النظام علي شرعية تجعله بنظر المجتمع والخارج مثلا للورع والتقوى. ولم يظهر هذا الورع والتقوى لا في سياسة شرعية داخلية تستمد إلهامها من منظورة العدل والشورى الحقيقية ولا في سياسة شرعية خارجية.

وما أحداث المنطقة العربية والإسلامية وموقف النظام السعودي منه إلا خير دليل علي مدي بعد هذه السياسة الخارجية عن مفهوم الإسلام الذي يحدد المواقف ولا في السياسة الدفاعية التي تعتمد علي الاكتفاء الذاتي وليس الأحلاف المشبوهة اذا بغياب اسلمة السياسة الداخلية والخارجية والدفاعية لا يبقي لهذا النظام إلا اسلمة المكان بطريقة فجأة أصبحت اليوم رهينة القضاء والقدر أو الوقوع بين يدي المطاوعة حيث يلقي المواطن من الضرب المبرح ما يجعل روحه ترجع إلي خالقها.

آل سعود والوهابية : لا يسقط أحدها دون الآخر!

ماذا يجري في السعودية؟

الكل يتحدث عن مكافحة الإرهاب، وخاصةً الدول المجاورة للعراق، والكل أيضاً يدّعي أنه ضحية "الإرهاب الخارجي" إذا صحّ التعبير، لكن الأكثرية تتفق على أن الإرهاب السلفي أو ما يُصطلح عليه "الوهابي" يتصدر القائمة، خاصةً في العراق. نظرة خاطفة على قائمة الإرهابيين في العراق وسرد بسيط للمعتقلين هناك أو الانتحاريين نرى أن من يتصدّر هذه القائمة هم من السعوديين، كما تصدّروا قائمة الجريمة الكبرى بتاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م عندما اصطدمت طائرتين ببرجي التجارة العالمي.

منذ ذلك الوقت، والسعودية تتحدث عن عملها الدؤوب في مكافحة الإرهاب، وأنها "السعودية" وأمريكا صفاً واحداً ضد الإرهاب. إن اتهام الحكومة السعودية بدعمها للإرهاب "العالمي" لم يأت من فراغ، فبلايين الدولارات صبّت ولازالت تصب في المؤسسات المحلية والدولية المتطرفة التي أنشأتها الحكومة، وعليه كانت النتائج أيضاً دولية، فقد كسح المد الوهابي كل سبيل التسامح والمحبة وقبول الآخر، وحفر مكانها الموت على صفة كراهية المختلف والولاء والبراء والتكفير حتى أصبحت معظم مصطلحات هذا المد هي قطع الرؤوس والعمليات الانتحارية والخطف والتفجير في أكثر من مكان، وفي العراق والسعودية على الأخص.

مدير العلاقات العامة والتوجيه بوزارة الداخلية السعودية د. سعود المصيبيح ذكر في مقابلة له على الهاتف مع قناة الإخبارية بُعيد العملية الانتحارية يوم الأربعاء (٢٨ ديسمبر ٢٠٠٤ م) التي استهدفت وزارة الداخلية، قال بأن الفكر يُحارب بالفكر، وأضاف بما معناه، بأن المعركة ليست فقط معركة سلاح ولكن هناك دور كبير للجهات الأخرى "غير الأمنية" للمساعدة في مكافحة الإرهاب. من يستمع له، ويستمتع لمسؤولين آخرين في الحكومة السعودية يخرج بنظرة مفادها أن الحكومة السعودية تعرف المشكلة ولا تحتاج لمن يساعدها في فهم الإرهاب الداخلي والجهات التي تقف معه، وأنها فعلاً تسعى لاستئصاله؛ لكن على أرض الواقع يرى المراقب تناقضات خطيرة وتضارب في التصريحات وكذلك في التحركات الساعية للقضاء على الإرهاب. بل أحياناً يكون العكس

صحيحاً، حيث أن العديد من تلك التحركات تُساعد على زيادة وتيرة العنف وتُقلل من الأعمال السلمية والفكرية التي تكافح العنف والتطرف وتدعو للتسامح وقبول الآخر.

أين التسامح وقبول الآخر؟

خلال الأيام القليلة الماضية فقط ومع بداية العام الميلادي الجديد، انتشرت موجة الكراهية من جديد على مواقع مشايخ الإرهاب وعلى رأسها موقع الإسلام اليوم لسلمان العودة وكذلك موقع المسلم للنازي ناصر العمر الموالي لتنظيم القاعدة والذين تدعمهم الحكومة السعودية، ففتاوى تحريم الاحتفال بالعام الجديد ومشاركة النصارى فيه، وكذلك تحريم بيع ما يساعد على الاحتفال به، بل حتى تحريم التهنئة للنصارى بالعام الجديد أو بالهدايا أو الحضور في هذه الاحتفالات، يعني أن الوضع مازال في مرحلة الخطر. هذا التحريم لا يقف عن حد معين بل يصل إلى وصف هذه الأعمال بأنها مساعدة على الإثم والعدوان وإن العقوبة شديدة مستدلين بالآية الكريمة "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" لأن ذلك يعني تعاوناً مع الكُفَّار. فتاوى أخرى تضيف بأن ذلك في تشابه مع "الكفار" وأن ذلك يخالف "الولاء والبراء" وتصل إلى وجوب كراهيتهم واحتقارهم.

هذا من جانب النصارى، أما ناحية الوضع الداخلي وأعني الشيعة في السعودية، فالوضع أكثر تعقيداً. ففي الوقت الذي افتتح فيه الأمير عبدالله حقل القطيف الذي ينتج حوالي مليون برميل يومياً، ظهر لنا "إرهابي" جديد موالي لتنظيم للقاعدة الإرهابي باسم د. محمد الطرهوني في مقال له بعنوان "ملفُ السنة والشيعة لن يغلق" بتاريخ ٢٥ ديسمبر (نشره موقع الساحات) يصف التشيع بأنه ديانة غير الإسلام ويُحرّض الحكومة ضد الشيعة ويمتدح فعلتها بحجب شبكة راصد الإخبارية؛ ولا يكتفي بذلك بل يدعو إلى مواقع إرهابية متطرفة لزيارتها ومعرفة حقيقة الشيعة. بل في موقعه المتطرف يستقي أخباره من موقع الكذب والإرهاب المسمى بمفكرة الإسلام.

الطرهوني لمن لا يعرفه، هو داعية لطالبان والقاعدة، بل يقوم بتجنيد الشباب لتنظيم القاعدة عن طريق دورات "جهادية" وله في هذا المجال عشر محاضرات عن فقه الجهاد يدعو فيها لقتال "الكفار"، ويصف الحرب على العراق بأنها صليبية في محاضرة "فضل الشهداء والحال في العراق وجهاد الدفع" بتاريخ ٨ صفر ١٤٢٤ هـ. يضيف في محاضراته بأن هذه الحرب الصليبية "تستهدف الإسلام والمسلمين ودفع هذه القوات الغازية عن بلاد المسلمين ومحاربتهم وقتالهم إنما هو جهاد في سبيل الله يؤجر عليه صاحبه، ومن استطاع أن يجاهدهم بنفسه وماله وما يمكنه فهو في سبيل الله"، وبهذا فهو يختلف مع الحكومة التي "يُحرضها ضد الشيعة" ويمتدح فعلتها بحجب موقع شبكة راصد، وكذلك يختلف مع أشد المتطرفين مثل العمر الذي ينفي أنه دعا "للجهاد" في العراق.

كذلك فالطرهوني في مقابلة له مع موقع مجلة العصر المتطرفة (١٧ نوفمبر ٢٠٠٤ م) ينال من الشيخ عبدالمحسن العبيكان لانتقاده الذهاب للعراق وأن المقاتلين هناك ليسوا مجاهدين، فوصف الشيخ العبيكان أوصافاً بها من الوقاحة والانتقاص الكثير. ففي رد حول تصريح العبيكان يقول الطرهوني "لو لم نعرف عين القائل بذلك لقلنا إنه إما جاهل أو مدفوع الأجر، ولكن كما قال كثير من العلماء من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب، والشيخ ليس من أهل التفسير وغالب انشغاله بالقضاء الذي يستنفذ وقت القاضي ويشغله، ولعله السبب في عدم ترقى الشيخ في الدرجات العلمية". في موقع آخر من المقابلة يقول عن هيئة كبار العلماء بأنهم يفتون للحكومة "وعلى كل هيئة كبار العلماء جهة رسمية معينة أفرادها لا يزيدون علماً عن غيرهم من أهل العلم، بل هناك من هو أعلم منهم بلا جدال ولا ريب، وكل ما في الأمر أن هذه جهة معتمدة لدى الدولة في أوقات الحاجة، وهذه الهيئة غير معتمدة في غير المملكة"، فهو هنا يطعن في مستوى أعضاء الهيئة وفي نزاهتهم أيضاً وأنهم يفتون بما تراه الحكومة.

ما هو موقف الدولة من دعاة التطرف والإرهاب؟

في الوقت الذي تستمر فيه الحكومة السعودية بتضييق الخناق على الإصلاحيين ودعاة السلم وتسجن من يدعو للإصلاح، في الوقت الذي قارب العام على سجن قادة المجتمع المدني الأبطال الأساتذة عبدالله الحامد، متروك الفالح وعلي الدميني؛ لازالت الحكومة تغض البصر عن أعمال دعاة الكراهية والعنف والتطرف والإرهاب، بل تدعمهم مثل السماح لسلمان العودة بإنشاء مجلة "الإسلام اليوم" مخالفةً بذلك كل القوانين التي سنتها الدولة نفسها وعلى رأسها وجود رأس مال كبير وتفرغ كامل لطاغم لا يقل عن ثلاثين شخصاً، وتمنع في الوقت ذاته الإصلاحيين من تقديم عريضة ورقية تطالب فيها بالإصلاح.

في الوقت الذي تدعو فيه الحكومة للتسامح وقبول الآخر وتتحدث عن المواطنة، تراها تصمت عن دعوات العنف والكراهية ليس فقط على مواقع التطرف، بل وصل ذلك إلى الصحف والإذاعة نفسها. فهاهو محمد بن أحمد الفيقي عضو الدعوة والإرشاد في وزارة الشؤون الإسلامية في مقاله الذي نشرته صحيفة الاقتصادية بتاريخ ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٤ م بعنوان "تثير الفتن وتحدث الشغب وتسفك فيها الدماء ٤ شواهد تؤكد مخالفة المظاهرات" للكتاب والسنة" يقول في المفاصد المترتبة على المظاهرات "ما أكثر المظاهرات التي خرج فيها المسلم والنصراني والرافضي متماسكين يعضد بعضهم بعضاً، يصرخون بصوت واحد، فإن كان هذا ليس مما يחדش مظاهر الولاء والبراء عند المسلم". نحن نفهم ونتفهم الفتوى لمنع التظاهر خدمةً للحكومة، ولكن لا نستطيع إيجاد العذر للحكومة عندما يتم إخراج الشيعة من الإسلام ووصفهم بالرافضة وأن المظاهرة يخرج فيها المسلم والنصراني والرافضي، يعني أن الشيعة ليسوا مسلمين. كذلك في الإذاعة السعودية ذاتها التي تحاول محاربة الغلو والتطرف تراها تمارس الغلو والتطرف نفسه. في يوم الأحد ١٨ ديسمبر ٢٠٠٤ م، الساعة الواحدة مساءً، بثت إذاعة القرآن الكريم (تردد ١٠٠ على موجة إف إم) محاضرة الأسبوع، وهي خطبة للشيخ إبراهيم بن تركي بن حمود بعنوان "الغلو الفكري ونتائجه" تحدث فيها عن الغلو الفكري. يُخيل للسامع بأن العنوان

سيتحدث عن دعاة الإرهاب وتجنيد الشباب للانضمام إليهم في هذا الوقت الحرج، ولكن العكس صحيح، فقد دخل في البدعة وأهل البدع، والغلو في الأئمة وعصمتهم. لا يخفي على السامع بأن هذا الشيخ يتحدث عن الشيعة، وليس عن بن لادن، فأين مكافحة الغلو الفكري في إذاعة حكومية تتحدث باسم الوطن كاملة، وليس باسم فئة شاذة تحدّد مصير الوطن كلّهُ؟

المراقب للأوضاع المحلية مؤخراً يرى أن هناك حملة إعلامية طائفية تقودها وزارة الداخلية للنيل من الشيعة خاصةً بعد زيارة الأمير عبد الله للقطيف وافتتاحه حقل القطيف؛ وربما من ضمن أهداف هذه الحملة هي تقليل الضغط على التيار الوهابي على حساب الشيعة والوطن كما تم في السابق فتح نفس القنوات إبان الحرب العراقية الإيرانية وكذلك في فترة "الجهاد ضد السوفيت" في أفغانستان، وكذلك إظهار الأمير عبدالله بأنه غير قادر على إدارة دفة البلاد وأن الإدارة الفعلية كما هو واضح بيد وزير الداخلية نايف. هذا يبين بأن وجود الأمير عبدالله أو غيره على قمة الهرم الحكومي لن يغير في سياسة الحكومة السعودية التي هي مثال وضاح للعنصرية والطائفية وهي اليد الطولى للتيار السلفي.

ما هو موقف الدولة من الإصلاح؟

بالتأكيد فإن موضوع الإصلاح لن يرتبط بموضوع مكافحة الإرهاب، أو هكذا تُريد أن تقول حكومة آل سعود، فهي "قوية"، والإصلاحات "مستمرة" منذ إنشاء هذا "الكيان"، وعليه فليس هناك "توقف" في العملية الإصلاحية! ربما لهذا السبب قامت الداخلية السعودية بإصدار قرار خرج عن مجلس الوزراء (الاثنين ٤ أكتوبر ٢٠٠٤ م) يعاقب أي موظف حكومي ينتقد سياسة الدولة في بيان أو خطاب أو حوار إعلامي عن طريق التحدث للصحافة المحلية أو الخارجية أو عن طريق إعداد بيان أو مذكرة أو المشاركة في اجتماع، وهذا يعني تكميم الأفواه بشكل لم تفعله أياً من الديكتاتوريات المجاورة عربياً أو إسلامياً. الغريب في القرار هو ربطه بواجب الحياد والولاء للوظيفة العامة، تعزيزاً

"للوحدة الوطنية"؛ فالوحدة الوطنية في نظر الحكومة السعودية تأتي بأن تتبع المثل القائل: أنا لا أرى، لا أسمع، لا أتكلم، وهذا لن يخدم الوطن بأي شكل من الأشكال، بل أدى إلى صنع "رعية" من الأموات التي تسير كما الآلة، لا تُبالي بشيء، لأن ذلك "ليس من شغلها".

ما ذكرته سلفاً ليس من نسج الخيال وليس به أي تهويل أو تضخيم لما يحدث، فتحت عنوان (الداخلية السعودية: هكذا نحارب "الإرهاب") قام موقع إسلام أون لاين (٧ يونيو ٢٠٠٤ م) بعد أسبوع تقريباً من تفجيرات الخبر بمقابلة مع سعود المصبيح مدير العلاقات العامة والتوجيه بوزارة الداخلية السعودية حدد فيها المصبيح سياسة الدولة في مكافحة الإرهاب، منها تأمين الحدود، تجفيف منابع التمويل الخاصة التي تأتي عن طريق التبرعات، توعية بعض الخطباء المخدوعين بفكر الشباب المنحرف، تفعيل التعاون مع الدول التي لها خبرة واسعة في مواجهة الإرهاب "مصر مثلاً"، التعامل الجيد مع من يلقي السلاح وكذلك مواجهة أفكار الجماعات المتطرفة على الإنترنت. لم يذكر المصبيح أي نقطة لها علاقة بالإصلاح والمساواة والمحاسبة والحريات الدينية وحرية التعبير والانتخابات وحقوق المرأة والأقليات، مما يعني أن سياسة الحكومة لم تتغير، فهي تريد أن تضرب كل من يتحرك في اتجاه التغيير سواءً سلماً أو غير ذلك. بل أن الحكومة تُرحّب بالأعمال الإرهابية أكثر من الدعوات السلمية لأنها بذلك تستطيع أن تجد لنفسها أذكاراً في مواجهة الإرهابيين، لكنّها لا تستطيع أن تجد لها أسباباً مقنعة لاعتقال وسجن دعاة الإصلاح المدني وقادته.

لماذا الرهان على الحكومة رهان خاسر؟

من الخطأ المراهنة على الفصل بين الحكومة السعودية والتيار السلفي الوهابي المتطرف؛ فهذان الخطان يدعم بعضهما بعضاً حتى مع بعض المشاكل التي تحدث بين الحين والآخر، فلا زالت الحكومة تراهن على التيار الوهابي لدعمها والتيار الوهابي يراهن على دعم الحكومة ضد بقية الشعب عموماً، و ضد الإصلاحات بشكل خاص. فالحكومة

تستغل اسم الدين وأن الإصلاحات المطلوبة من انتخابات وحقوق إنسان ومساواة وعدالة، كل ذلك يخالف "سيرة السلف والصحابة"، والحكومة السعودية تدفع مقابل هذه الفتاوى بلايين من الدولارات لنشر الفكر الوهابي في أقاصي الأرض.

كذلك من الخطأ المراهنة على أن المستقبل يحمل في طياته صدام الطرفين لأن هذا الصدام هو إضعاف لهما وهما يعرفان ذلك، فالحكومة السعودية وخاصة وزير الداخلية لازال يقحم الدين والإسلام في كل ما يتحدث عنه، والأمير سلطان وزير الخارجية أيضاً وكذلك أمير الرياض سلمان، فلازال الدين "تجارة رابحة" تضي على صاحبها هالة القدسية، وما مسابقات حفظ القرآن وتجويده التي يرعاها وزير الدفاع إلا جزء من هذه اللعبة، وما دعم بناء المزيد من المساجد "والتبرّع" بالمزيد من الأموال لدعم هذه المشاريع إلا حلقة في سلسلة واضحة المعالم، وهي إضفاء الاستقامة والتدين على آل سعود والحكومة السعودية عموماً.

أيضاً من الخطأ الاعتقاد بأن هذه الحكومة ستغيّر سياستها التمييزية بين المواطنين، فهذه الدولة نشأت من رحم الطائفية والعنصرية، وتمثل أقلية التيار الوهابي في مقابل الأكثرية المعتدلة، فهي لم تكن محايدة في تعاملها مع المواطنين، بل اتخذت خياراً استراتيجياً منذ إنشائها، وهذا لن يتغير الآن ولا في المستقبل. الحكومة هي من تمارس التمييز ضد بقية المذاهب الإسلامية والشيعية تحديداً، وهي أيضاً التي أنشأت وزارات دينية على أساس طائفي محض فاستثنت بقية المذاهب الإسلامية فخرجت الفتاوى تحمل أفكار التطرف والكراهية والعنصرية باستمرار. الحكومة السعودية لم تمنع من يدعو للفرقة والفتنة والانقسام، ولم تُعاقب من يدعو للفتنة والانقسام ولم تسعى لتعزيز الوحدة الوطنية ولم تحمي حقوق الإنسان، ولن تسعى لذلك في المستقبل. ما تسعى إليه الحكومة السعودية هو العكس تماماً فهي تُطالب الشيعة بالتنازلات المستمرة وعدم المطالبة بحقوقهم كأدبيين وكمواطنين حفاظاً "على العلاقة المتميزة للدولة مع التيار

الوهابي"، وما نشرته مجلة الشرق حول زواج المتعة والاعتداءات على الزوار في المدينة المنورة إلا إضافة أخرى لقائمة طويلة من الانتهاكات.

الحكومة السعودية والتيار الوهابي نشأ بدعم أحدهما الآخر ولن يسقط أحدهما دون الآخر، ولهذا فالأمل مفقود في القضاء على الإرهاب الوهابي دون سقوط النظام الداعم له، ولن تتوقف سياسة الحكومة السعودية الطائفية وانتهاكاتها لحقوق الإنسان دون سقوط الفكر الوهابي الذي يشرعن لها تلك الأعمال. سقوط التيار الوهابي والحكومة السعودية أساس كل تغيير إيجابي في المنطقة، والآفعلى العالم أن يتحمل كل ما يحصل من إرهاب في كل بقاع العالم أملاً في أن يسجد إبليس لآدم.

المصادر:

- ١ - مقابلة هاتفية للدكتور سعود المصبيح مع قناة الإخبارية ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٤ م.
- ٢ - قرار مجلس الوزراء السعودي ٤ أكتوبر ٢٠٠٤ م.
- ٣ - مقابلة هاتفية د. سعود المصبيح مع قناة الإخبارية ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٤ م.
- ٤ - مقالة الطرهوني "ملف السنة والشيعنة لن يغلق" ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٤ م.
- ٥ - مقابلة مجلة العصر مع الطرهوني ١٧ نوفمبر ٢٠٠٤ م.
- ٦ - محاضرة الطرهوني "فضل الشهداء والخال في العراق وجهاد الدفع" ٨ صفر ١٤٢٤ هـ.
- ٧ - مقالة محمد الفيبي عضو الدعوة والإرشاد بوزارة الشؤون الإسلامية في صحيفة الاقتصادية "تثير الفتن وتحدث الشعب وتسفك فيها الدماء ٤ شواهد تؤكد مخالفة "المظاهرات" للكتاب والسنة" ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٤ م.
- ٨ - محاضرة إبراهيم بن تركي بن حمود في إذاعة القرآن الكريم "الغلو الفكري ونتائجه" ١٨ ديسمبر ٢٠٠٤ م.
- ٩ - مقابلة هاتفية للدكتور سعود المصبيح مع موقع إسلام أون لاين ٧ يونيو ٢٠٠٤ م.
- ١٠ - مشاركة النصارى في أعيادهم - فتوى الشيخ بن باز - موقع المسلم لناصر العمر.

- ١١ - حكم تهنئة الكفار بأعيادهم - فتوى الشيخ بن عثيمين - موقع المسلم لناصر العمر.
- ١٢ - أحكام تبادل الهدايا والتهاني بين المسلمين والكفار - بحث للشيخ د. رياض المسيميري عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام - موقع المسلم لناصر العمر.
- ١٣ - موافقة الكفار في أعيادهم - فتوى الشيخ عبدالوهاب الطرييري - موقع الإسلام اليوم لسلمان العودة.
- ١٤ - مشاركات في عيد الميلاد - فتوى الشيخ عبدالوهاب الطرييري - موقع الإسلام اليوم لسلمان العودة.
- ١٥ - حكم بيع ما يستعمل في أعياد الميلاد - فتوى الشيخ سلمان العودة - موقع الإسلام اليوم لسلمان العودة.
- ١٦ - المدينة المنورة: ولا يزال مسلسل الاعتداءات على الزوار مستمر - ٧ يناير ٢٠٠٥ م - شبكة راصد الإخبارية
- ١٧ - زواج المتعة - مجلة الشرق - عدد رقم ١٢٤٧ - الأسبوع الأول - ذو القعدة ١٤٢٥ هـ.

المحور الرابع

ميليشيا الأمر بالمعروف السعودية تطالب من مخترع سعودي حذف حرف اكس من اسم اختراعه

تفاهات وسخافات ميليشيا وزير الداخلية السعودية المسماة بهيئة الأمر بالمعروف كثيرة ومتعددة وطريفة ... أطرفها طرا ما أعلن عنه مخترع سعودي مؤخرا في مقال نشره في جريدة سعودية تحت عنوان حروب صليبية

وباختصار شديد فان عمرو محمد الفيصل يمتلك شركة سعودية تعمل في مجال البرمجة وقد تمكنت شركته من اختراع او إنتاج متصفح جديد بالعربية سارعت الى تسجيله في وزارة التجارة السعودية حتى تضمن حقوقها كنوع من الحماية الفكرية للمنتج الذي سيشكل ثورة في مجال المعلوماتية خاصة وانه أول متصفح باللغة العربية كتب وأنتج بخبرات عربية

المتصفح اسمه برنامج المستكشف وترجمته بالانجليزية هو

Explorer

وقد ضمننت الشركة كتابها لوزارة التجارة الاسمين بالعربية والانجليزية لضمان حقوقها الفكرية

الوزارة لم ترد على طلب الشركة لمدة تزيد عن تسعة أشهر ... وبعد الاستفسار بعثت وزارة التجارة إلى الشركة خطابا رسميا يقول إن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رفضت السماح بتسجيل هذا الاختراع لان كلمة إكسبلورر تتضمن حرف اكس وقد لاحظ رجال الهيئة وخبرائها ان هذا الحرف على شكل صليب وبالتالي فان هذا يستفز مشاعر المسلمين ولا يمكن السماح بتسجيله لدى وزارة التجارة

رئيس الشركة عمرو محمد الفيصل كتب مقالا في صحيفة سعودية بعنوان حروب صليبية سرد فيه هذه الفضيحة مذكرا هيئة الأمر بالمعروف ان حرف الاكس هو مجرد حرف من حروف الأبجدية الانجليزية وهو ليس مؤامرة خبيثة من النصارى لتسميم أفكارنا وعقائدنا وشعورنا كما ورد في قرار الهيئة

وعلى سبيل السخرية ولحماية ديننا من هذه الحروف الخبيثة اقترح الكاتب على
الهيئة وعلى وزارة التربية والتعليم إلغاء علامة الزائد وهي علامة الجمع في الرياضيات
وكذلك علامة الضرب حيث إنهما على شكل صليب
من المعروف ان الهيئة المذكورة تكاد تعتبر الجهة التي تحكم في المملكة ورجالها فوق
القانون ويحق لهم اعتقال وضرب وجلد اي انسان دون سبب ويدير هذه الميليشيا في
الرياض رجل اسمه عثمان العثمان وهو مرتبط مباشرة بمكتب وزير الداخلية ويدير
عمله من خلال ٣٨ مركز للهيئة في مدينة الرياض وحدها

لا زال وعاظ السلطة السعودية وعلمائها مستمرين بإصدار الفتاوى التكفيرية بحق الطائفة الشيعية في شبه الجزيرة العربية وبتشجيع من النظام السعودي.

فلم يمض وقت طويل على صدور فتوى تكفيرية من قبل أحد رموز النظام الديني وهو (سلمان فهد العودة) والتي أحدثت ردود فعل عنيفة من قبل أتباع الطائفة الشيعية في شبه الجزيرة العربية والشيعية في جميع أنحاء العالم بل جميع المسلمين والتي نشرت في الصحيفة الرسمية للنظام السعودي (صحيفة الجزيرة السعودية) في عددها ١٢٧٩٩ ليوم الأحد ١٤ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧، حتى قام آخر من رموز النظام التابعين للمؤسسة الدينية السعودية (د. محمد بن عبد الله القناص عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم) بإصدار فتوى أخرى في موقع (الإسلام اليوم) يوم الاثنين ٢٢ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧ يصف فيها الشيعة بأنهم من (الفرق الضالة) وذلك في معرض جوابه لأحد السائلين.

إن ما يصبوا له النظام السعودي هذه الأيام ومن خلال مؤسسته الدينية والتي تعتبر الذراع الأيمن للنظام، هو إشعال نار فتنة طائفية في بلادنا وذلك استكمالاً للخطة التي ينتهجها التكفيريون في باقي البلدان الإسلامية للنيل من أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام وإدكاء نار الطائفية والتفرقة البغيضة، وحرف الأنظار عن ممارساتهم العدوانية. تناشد لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان في شبه الجزيرة العربية جميع المفكرين الإسلاميين والمثقفين في العالم الإسلامي ومن جميع المذاهب للتنديد بهذه الفتاوى وبمن يصدرها والمسؤول عن نشرها لأنها لا تمس طائفة إسلامية بعينها، بل تسيء إلى الإسلام ككل.

كما تنبه اللجنة المنظمات الدولية والمحلية المعنية بحقوق الإنسان لكي تقوم بالضغط على النظام السعودي بالكف عن سياسة التمييز التي ينتهجها ضد أتباع الطائفة الشيعية وببقية المذاهب الإسلامية الأخرى في شبه الجزيرة العربية.